

ندوات إذاعية - إذاعة دار الفتوى - الإعجاز العلمي - الحلقة ٢٧ - ٣٠ : السمكة الطبية.
لفضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١١-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْنَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات : ٢١]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب ، دقة الإنسان .
التفكر في الخلق والكون ، التفكير في الخلق والكون حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب
النابلسي أحد علماء دمشق ، يجريها عبد الحليم قباني .
المذيع :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم .

أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة
الإيمان والعافية ، ويسر لنا دراسة العديد من آياته ، فكانت هذه الحلقات التي خصصناها بعلوم
الكون التي تطرقت إليها عشرات الآيات القرآنية قبل أن تعرف الإنسانية شيئاً يذكر عن تلك
العلوم .

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يفسر لنا إلا آيات العقيدة والأحكام ، وبعضاً من الآيات
العلمية في حقل العلوم المادية ربما - والله أعلم - التزاماً منه بقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

[سورة القيامة : ١٩]

شغلني فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق،
والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق ، شغلني منذ فترة موضوع أن للإنسان طبيباً وأدوية
تداويه من أمراضه ، ولكن من هو الطبيب للحيوانات ؟ من صنّفها ونوعها كالأسماك مثلاً ؟ إلا
أنني وجدت في كتابكم موضوعاً لفت نظري ، تحت عنوان " السمكة الطيبية " ، نتمنى أن تحدثنا
عن هذا الموضوع .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحليم ، اكتشاف السمة الطبية له قصة ، فقد كان أحد علماء البحار يركب غواصة أبحاثٍ تحت سطح البحر ، من النافذة لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها ، واتجهت إلى سمكة صغيرة ، فتصور كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى الصغيرة لتأكلها ، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها ، وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة ، سجل هذه الظاهرة ، وهنا بداية هذا البحث ، بعد عشرة أعوام تقريباً اكتشفت حقيقة رائعة ، هي أن هذه السمكة الصغيرة متخصصة في علاج أمراض الأسماك كلها ، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين أسماك البحر يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تؤكل ، لذلك أجريت بحوث كثيرة ، وتتبع العلماء مواطن هذا السمك الذي أعطوه اسماً خاصاً ، هذا السمك جعل الله عز وجل غذاءه على القرصات والإنتانات والطفيليات والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة ، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها ، وكأن هناك عرفاً وامتتناً ، كيف أن سيارات الإسعاف إذا رسم على سقفها الهلال الأحمر ، معنى ذلك أن تكون هذه السيارة في مأمن من القصف الجوي ، لأنها تقوم بمهمة إنسانية، تماماً في عالم البحار ، هذه السمكة الصغيرة جعل الله غذاءها على قرصات الأسماك وإنتانات حراشفها والطفيليات والفطريات ، وكأن هناك عرفاً في هذه البحار أن هذه السمكة الصغيرة لا تؤكل لأنها طبية وتقوم بمهمة إنسانية .

إن في بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصورت أن سمكة كبيرة كانت تشكو قرحة في فمها، فإذا بها قد فتحت فمها ودخلت هذه السمكة الممرضة الطبية آمنة مطمئنة لتعالجها من هذه القروح ، وفي الوقت نفسه هاجمت هذه السمكة التي تعالج ، هاجمتها سمكة أكبر منها لتأكلها ، فما كان من السمكة المعالجة ، وفي فمها سمكة طبية ، إلا أن تخرج هذه السمكة التي تعالجها وولت هاربة .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : ٤٩-٥٠]

ما هذا العرف ؟ ما هذا العقد الذي بين الأسماك ؟ ما هذا الميثاق ؟ ما هذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار ؟

إن هذه السمكة التي خلقها الله مزودة بمنقار دقيق دقيق يصل إلى أدق الثنايا ، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات والقرصات والإنتانات ، وما شاكل ذلك ، وهو غذاء لها ، وإن هذه

الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من تقرحات بسبب ما يحدث بين الأسماك من احتكاك ، أو من معارك أحياناً .

السمكة الطبية آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أستاذ عبد الحليم - جزاك الله خيراً - الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمكة الصغيرة صفت بعضها وراء بعض ، وكأنها في نسق فيه نظام ، وفيه تحضر ، ليس هناك ازدحام ، ولا تزاحم ، ولا تدافع ، ولا سباب ، وقفت هذه الأسماك الكبيرة وقد سجلت هذه الصورة ، بضع عشرات من الأسماك تقف وراء بعضها بعضاً تنتظر دورها في المعالجة ، وقد تستغرق المعالجة دقيقة أو أكثر ، وتنصرف إلى سبيلها .

﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان : ١١]

مليون نوع من السمك من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة الطبية لا تؤكل ، ولا يعتدى عليها ، لأنها تقوم بمهمة نبيلة ؟ من أعلمها ؟ هل هذه الأسماك عاقلة ؟ إذاً هذه آية من آيات الله الدالة على عظمته .

نحن مكلفون بأمر تكليفي أن نتعاون ، لكن الأسماك بأمر تكويني تتعاون ، الإنسان مخير هو والجنّ .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات : ٥٦]

فنحن إذاً كان هناك خلل في حياتنا لأن أمر الله لنا أمر تكليفي ، أما بقية المخلوقات فمسيرون بأمر تكويني ، وهذا من عظمة المنهج الإلهي الذي بينه لنا النبي عليه الصلاة والسلام .
المذيع :

صلى الله عليه وسلم ، فضيلة الدكتور محمد ، ما دمنا قد بدأنا في حديثنا ، وفي هذه الحلقة بالذات عن السمك ، وبدأناها بالسمكة الطبية ، أيضاً رأينا من المواضيع الهامة التي تكلمنا عنها ، وكتبتم فيها عن سمك السلمون ، وحركة هذا السمك .

سمك السلمون :

الدكتور راتب :

لعلنا في حلقة سابقة تحدثنا أنه حتى هذا التاريخ لم يستطع العلم أن يقدم تفسيراً لهجرة الطيور ، فهي تنتقل من شمال الأرض إلى جنوبها لمسافات تزيد على سبعة عشر ألف كيلومتر ، ولا أحد يعلم حتى الآن كيف تهتدي هذه الطيور إلى أهدافها ، كل النظريات التي وضعت تفسيراً لاهتدائها لم تؤيد إطلاقاً بالدليل القوي ، فكل هذه الفرضيات ليست كافية لتفسير حركة الطيور ، واليوم

نتحدث عن سمك السلمون ، و هذا النوع يدل على عظمة الله عز وجل ، هذا السمك ، سمك السلمون له اسم آخر ، هو حوت سليمان ، هذه الأسماك حيرت العلماء ، بل عدّوا هذا من المعجزات ، ولا تفسير لها إلا في ضوء القرآن ، لا تفسير لحركتها بين أفاصي الدنيا وبين أطرفها إلا بما قال الله عز وجل :

﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : ٥٠]

هذه الأسماك أسماك السلمون تولد في رؤوس الأنهار في أمريكا ، وأعني برؤوس الأنهار منابع الأنهار ، وتهاجر من هذه المنابع إلى مصباتها ، بعض هذه الأنهار كالأمازون كثافته في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف متر مكعب ، بعض هذه الأنهار طويلة جداً ، مثل المسيسيبي ، بعض هذه الأنهار غزيرة جداً كالأمازون ، فهذه أسماك السلمون تولد في رؤوس الأنهار ، أي في ينابيع الأنهار ، وتهاجر من هذه المنابع إلى مصبات الأنهار ، ومن مصباتها إلى نهاية المحيط الأصلي ، إلى شواطئ أوروبا الغربية ، أي إلى سواحل فرنسا مثلاً ، ثم تعود هذه الأسماك من سواحل فرنسا إلى مصبات هذه الأنهار ، ثم إلى مكان ولادتها .

أستاذ عبد الحليم ، رُبَّان يحمل دكتوراه في قيادة السفن ، معه أجهزة ، ومعه وسائل ، ومعه اتصالات ، ومعه بوصلة ، ومعه كل وسائل الإرشاد ، ومع ذلك قد يضل الطريق ، هذه سمكة في أعماق البحار تتجه من فرنسا إلى الغرب إلى أمريكا ، لو أخطأت في حركتها بزواوية واحدة لكانت في نهر ، وانتقلت إلى نهر آخر ، لو أخطأت في ثلاث درجات لجاها هدفها من شمال أمريكا إلى جنوب أمريكا ، هنا الآية المعجزة ، فهذه الأسماك تعود من سواحل فرنسا مثلاً إلى مصبات هذه الأنهار ، ثم إلى مكان ولادتها ، ولا يظن أن هذا كلام ، إن في هذا بحوثاً استغرقت عشرات السنين ، وهناك مركز بحوث وضع في الأنهار ، أحصى مليوني سمكة من نوع السلمون تعود إلى مسقط رأسها كل يوم ، من أين أتت ؟ من سواحل الأطلسي من سواحل فرنسا ، تعود إلى مسقط رأسها كل يوم ولمدة شهرين ، وكان بعض العلماء قد وضع عليه قطعة معدنية فيها تاريخ هجرته ، فلما عاد عرفوا مدة الرحلة .

أما السؤال الكبير الذي يحير العقول : كيف يستطيع هذا السمك أن يرجع من المحيط الأطلسي إلى مصب النهر ومنبعه ؟ مثلاً من باب الموازنة : طير في بيروت ، في أحد أحيائها ، في بيت عربي ، له عش في سقف هذا البيت ، يتجه من بيروت إلى جنوب إفريقيا ، في طريق العودة يعود إلى البيت الذي خرج منه ، لو أخطأ في الزاوية درجة واحدة لأتى في بغداد .

السلمون هذا السمك فيه دقة بالغة جداً كالدقة البالغة التي عند الطيور ، لو أتينا بأحد علماء البحار ، وأركبناه قارباً ، وله عينان مبصرتان ، وقلنا له : اتجه ، وأنت على هذا القارب إلى مصب الأمازون ، هذا الإنسان العاقل المفكر لو كان عالماً كبيراً في علم البحار لا يستطيع أن يصل إلا بالخرائط ، والإحداثيات ، والاتصالات اللاسلكية ، وبعناء كبير ، وبأشياء كثيرة ، أما

السكة في باطن البحر وفي أعماقه ، لو أنها أخطأت في زاوية انطلاقها درجة واحدة لجاءت في نهر آخر ، لو أنها أخطأت ثلاث درجات لتغير مكان اتجاهها من أمريكا الشمالية إلى الجنوبية ، فكيف تستطيع هذه السكة - وهي لم تؤت ما أوتي الإنسان - أن تعود من سواحل فرنسا إلى مصب النهر التي خرجت منه ثم تتابع سيرها في النهر نفسه ؟ وقد تصعد الشلال ، وهناك صور دقيقة أخذت لسماك السلمون وهو يصعد الشلال ليعود إلى مسقط رأسه ، فتولد وتموت هناك ، يجب أن تموت في مسقط رأسها ، قال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : ٤٩-٥٠]

وقوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

[سورة الأعلى : ١-٣]

هذا يذكرني بألية بالغة التعقيد تولد مع الغلام الصغير ، سماها العلماء منعكس المص ، لا يستطيع أب في الأرض أن يعلم ابنه الذي ولد لتوه كيف يمص الحليب من ثدي أمه ، طبعاً مستحيل وألف ألف مستحيل أن يستطيع أب أن يعلم ابنه كيف يلتقم ثدي أمه ، وكيف يسحب الحليب منه ، ينبغي أن يقول له لو أنه كبير وعاقل : ينبغي أن تحكم وضع شفطك على حلمة ثدي أمك ، أن تحكم الإغلاق ، ثم أن تسحب الهواء ، فيأتي معه الحليب ، لولا أن هذا المنعكس مع كل طفل يولد لتوه لا تجد إنساناً على سطح الأرض ، هذا المنعكس ألية بالغة التعقيد تولد مع الإنسان :

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان : ١١]

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء : ٧٠]

الوحي نوعان ؛ وحي أمر وحي غريزة :

لذلك بعضهم قال في قوله تعالى :

﴿ أَوْحَى لَهَا ﴾

معان كثيرة ، قال تعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾

[سورة الزلزلة : ١-٥]

بمعنى أمرها ، فالوحي الذي يوجه إلى المادة وحي أمر ، لكن في قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾

[سورة النحل : ٦٨]

النحل يقوم بأعمال بالغة الدقة والتعقيد ، وبالغة الحكمة ، من ألهمها ذلك ؟ إنه الله هذا وحي الغريزة ، وهذا موضوع حديثنا اليوم وحي الغريزة ، فهذا السمك يتحرك من سواحل فرنسا إلى مصبات الأنهار في أمريكا ، إلى رؤوس الأنهار ، بوحى الغريزة ، فالغريزة آلية معقدة جداً ، إذاً هناك وحي أمر ، ووحى غريزة ، وحينما الله عز وجل :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾

[سورة القصص : ٧]

هذا وحي إلهام . وحينما قال الله عز وجل :

﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾

[سورة الأنعام : ١٩]

فهذا من وحي جبريل ، فالوحي إذا ارتبط بمخلوق غير الإنسان يعني الغريزة التي يتمتع بها الحيوان ، وهي آليات بالغة التعقيد لا يمكن إلا أن تكون خلقاً من خلق الله عز وجل ، والحيوانات كلها تتحرك بآلية بالغة التعقيد ، إنها الغرائز ، أما الإنسان فكلف أن يتعرف إلى الله ، أعطي فكراً ، وبهذا الفكر تفوق على بقية الحيوانات .

خاتمة و توديع :

المذيع :

نشكركم طبعاً فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في نهاية هذه الحلقة لهذا الشرح المستفيض ، والمفيد في آن واحد معاً في هذه المواضيع التي كتبتموها في كتابكم ، وضمنتموها في هذا الكتاب الذي سميتموه : "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" .
أيها الأخوة والأخوات إلى حلقة قادمة بإذن الله مع موضوع جديد ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين